

حكايات ابن بطوطة شاهد عصره وعظة اليوم

يقدم كنعان هذه المختارات بطزاجتها لتؤسس فكراً وفتياً للقاص والخيال

إسماعيل مروة

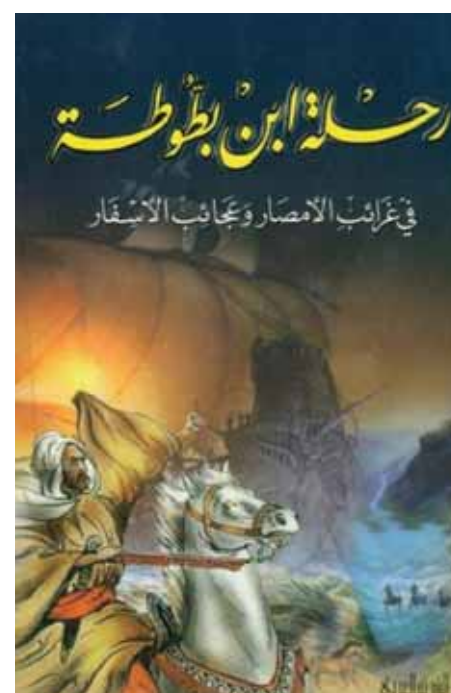
في مناهجنا الدراسية القديمة التي درسناها عندما كنا طلاباً، قرأنا كتاب الموسيقى الأعمى من الأدب العالمي، لبديع حقي، ورحلة ابن بطوطة بغلافها الأخضر، وهو كتاب لطيف يشعل الخيال، ويجعل العالم بين يديك من أخصاه إلى أخصاه، ولم تكن نعلم حينها أن واضعي المناهج اجتهدوا في تهذيب الرحلة واختصارها لتصبح صالحة كمثال لأدب الرحلات في تراثنا، وما أزال أنكر وصفه لطائر الرخ، ومبالغاته التي تقترب من الأسطورة، وفجأة لم تعد هذه الرحلة في المناهج، وتغيرت المقررات التي كانت تلهب المشاعر لتحل محلها مناهج أخرى جديدة.

حكايات ابن بطوطة

واليوم يصدر في دمشق عن دار التكوين كتاب مهم هو (حكايات ابن بطوطة) وفي توصيفه أنه من اختيار وتقديم علي كنعان، والإسمان يحتاجان منا وقوفاً، في كتاب في الاختيارات، لكنه أكبر وأصح مما قرأناه في مراحلنا الدراسية في المدارس، ويحمل اسم المختارات، والذي أخلص لهذه المختارات أديب مميز وشاعر قضى عمره في الثقافة، وهذا يستدعي الوقوف طويلاً، فهو اختيار غير مطلوب، وقام به أديب خاص من نفسه، ما يدل على وجود ما يستحق في هذه الرحلة، من الجوانب الفكرية والحياتية والسياسية والأدبية، وإلا كان الشاعر قد صرف جهده تجاه كتاب آخر في رحلته، ولكن في الرحلة والحكايات ما يستحق، وبدا ذلك من العنوان، حكايات ابن بطوطة، فلم يحمل اسم رحلة ابن بطوطة، ولم يحمل الاسم الذي وضع ابن بطوطة، وإنما حمل اسماً جديداً هو الحكايات، وهنا يقتضي الانتباه في التركيز على فن الحكاية عند هذا الأديب والرحالة.. ونحن قراءة هذا الكتاب وفتت عند قضايا مهمة لصحة الأسان كنعان والنشر على السواء.

الحكايات بنت زمانها

اعتدنا في المختارات أن يتدخل القاص بالاختيار، أو الجهة المسؤولة عن النشر، وذلك بالحدف والتغيير والإصطفاة بما يناسب الميول والأصواء لتكفيها، أو للتراث المستهدفة، أو للسلطات الحاكمة، أو للذوق السائد، والأمثلة لكثيرة أماناً، وفي هذا الأمر كما أرى الميول، وحتى آخر كتاب تراثي تم نشره، وهناك أمثلة حية من رحلة ابن جبير وسواها.. وقد تكون الغاية إسباغ هالة من العلم والتوير للكتاب الأصلي، فيظهر منه غير الحقيقة، كأن يصبح مشابهاً للعلمانيين وهو ليس كذلك، أو أمثالاً للصالحين وهو ليس كذلك! ولعل أهم ميزة في اختيارات علي كنعان ودار التكوين، على السواء، الحفاظ على هوية الحكايات، والكتاب بكل الأبعاد الفكرية والثقافية، بل والدينية والمذهبية في ذلك الزمن لتكون الحكايات بنت ذلك الزمن، وليست بنت ذلك زماننا، ولو جعلناها مناسبة لميولنا وقرائنا، فإننا يجب أن نكتب نحن ولا نكتب إليه، ومن ذلك ما فعله بعض المترجمين من توير للإسلام وشخصياته في كتاب مترجم، وهو في الأصل ليس كذلك، ولو بقي على هيئته تلك فإنه سيعد فرصة الردود والدراسة، وكذلك عندما ننشر كتاباً تراثياً نحفي



قد تتحول الرحلة إلى حياة طويلة متطاولة، كما عند ابن بطوطة

الطويلة من الزوجات الموسمية والبيغاه المغطي بغلالة مهلهة من الشرع؟

ويذكر كنعان من خلال تتبعه للرحلة «هذا الشغف العميق بالمرأة، وهو شغف يمر ذكره عابراً كأي لون من الطعام أو نوع من الثياب.. ومن الطريف ما وصل إليه كنعان وهو العارف بمشيمة ابن بطوطة إذا تذكرنا أنه أدى فريضة الحج ست مرات، فهل كان يدرك مدى الأخطاء حتى لا نقول الأيام التي وقع فيها، والمتس الحج ابتغاء التطهير ونيل الغفران؟»

رواسم للباحثين

زمن التسجيل، الجغرافية والقصيدة، عوالم الحضارة، الأخلاق، المرأة ومكانتها، الحكاية والقص، تناول كنعان مجموعة من القضايا المهمة في هذا الاستهلال، وبرع في الاختصار والتكثيف، لأن الغاية عنده ليست تقديم دراسة، بل يقدم هوى في قراءة هذه الرحلة والعصر، وأظن هذه الملاحظات يتحدر إلى الكتاب الذي يقدمه للقراء ليحمله الأول ابن بطوطة كلها، فهو مغربي، وهو شيخ، وهو فقيه، وهو عالم، وهو مالي، وهو شاب لم يتجاوز عمره الربع قرن عندما بدأ رحلته، وهو صاحب خيال ممتح، وكل ذلك يقدمه ليمهد السبل لدراسة الرحلة بشكل موضوعي، فنحن لسنا أمام رحلة لشخص عادي يسجل يومياته، بل نحن أمام شيخ عالم فقيه، يحمل مذهبه بعلم ليجوب العالم ويقدم تجربته، وإشارات كنعان تظهر حقائق تحاول أن تخفيها أو تخفي منها، وهي موجودة في الرحلة والحكايات وليست مستخلصة، وصرح بها ابن بطوطة بنفسه، ما يدل على الاعتقاد بها، وعندما غير مخالفة لقواعد الشريعة والمذهب، فإذ يضع نوعاً من التناظر بين العقيدة ورجال الدين سخرج عن قناعته وهو يقرأ هذه الحكايات، والذي يحاول أن يعطي الأفكار والعقائد حقيقتها وتأثيراتها على حياة ابن بطوطة، وحسبنا أن نقف عند إشارته إلى مكانة المرأة لتكتشف ذلك الفكر المزجوع عند عدد من العلماء المسلمين غير قليل، لا يعير الرحلة المرأة أي اهتمام خاص، ولا يشير إلى تميزها وجدارتها بالاحترام والتقدير، إلا إذا كانت من اللواتي أحسنهن بالإحسان والإكرام، وهن غالباً من بنات السلاطين والأمراء أو زوجاتهم أو أمهاتهم ولا أبيهن هنا أن أظم الرجل أو انظر إليه في معيار حقوق الإنسان في عصرنا، إذا قلت إن المرأة ذات قيمة دنيا منطحة في نظره، حتى وإن كانت زوجة وأم أبنائه، إنها للمتعلة، لا أكثر، أما مسألة الإنجاب فلا تشغله، ولا تستأثر بشيء من اهتمامه..

وللحكاية دورها

يقف علي كنعان عند فن الحكاية، ولا يتكفي بذلك القضايا الاجتماعية، وهو الأديب والشاعر القادر على فهم دور الحكاية وتقديره، وخاصة أن تراثنا عادي يسجل يومياته، بل نحن أمام شيخ عالم فقيه، يحمل مذهبه بعلم ليجوب العالم ويقدم تجربته، وإشارات كنعان تظهر حقائق تحاول أن تخفيها أو تخفي منها، وهي موجودة في الرحلة والحكايات وليست مستخلصة، وصرح بها ابن بطوطة بنفسه، ما يدل على الاعتقاد بها، وعندما غير مخالفة لقواعد الشريعة والمذهب، فإذ يضع نوعاً من التناظر بين العقيدة ورجال الدين سخرج عن قناعته وهو يقرأ هذه الحكايات، والذي يحاول أن يعطي الأفكار والعقائد حقيقتها وتأثيراتها على حياة ابن بطوطة، وحسبنا أن نقف عند إشارته إلى مكانة المرأة لتكتشف ذلك الفكر المزجوع عند عدد من العلماء المسلمين غير قليل، لا يعير الرحلة المرأة أي اهتمام خاص، ولا يشير إلى تميزها وجدارتها بالاحترام والتقدير، إلا إذا كانت من اللواتي أحسنهن بالإحسان والإكرام، وهن غالباً من بنات السلاطين والأمراء أو زوجاتهم أو أمهاتهم ولا أبيهن هنا أن أظم الرجل أو انظر إليه في معيار حقوق الإنسان في عصرنا، إذا قلت إن المرأة ذات قيمة دنيا منطحة في نظره، حتى وإن كانت زوجة وأم أبنائه، إنها للمتعلة، لا أكثر، أما مسألة الإنجاب فلا تشغله، ولا تستأثر بشيء من اهتمامه..

سارة سلامة

صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب وضمن سلسلة «أفاق ثقافية» الكتاب الشهري (تقاسيم ترجمية) تأليف الدكتور جمال شديد.

يمثل هذا الكتاب تداعيات مترجم أمضى جزءاً كبيراً من حياته في التأليف والترجمة. ومثلت اللغة الفرنسية جانباً كبيراً من اهتماماته. عمل مؤلفه في النقد الأدبي، ولكن الترجمة لعبت الدور الأكبر من نشاطاته، لأنه رأى أنها حلقة وصل بين اللغات والحضارات والبشر. وكما قال خوسيه ساراماغو: إذا كان التأليف يمثل اللغة المحلية، فإن الترجمة تمثل اللغة العالمية. صحیح أن الكتاب مساهمات في مؤتمرات ومقالات بشكل خاص، ولكنه يصب في خانة الترجمة روحاً وقالباً. وتتصادى معلوماته مع أحدث النظريات في الترجمة العالمية.

تقديم

وفي مقدمة الكتاب قال شديد إنه: «منذ قرابة أربعين عاماً وأنا أتعاطي مهنة الترجمة ممارسة وتدريسا وزادت حصيلة كتبي التي ترجمتها على ثلاثين كتاباً، منها كتابان ترجمتهما من العربية إلى الفرنسية مع المستشرق الفرنسي الراحل ميشيل بوزيقي، وهما (السفينة)، و(بريد بيروت)، ومعظم هذه الكتب المترجمة فكرية وفلسفية وأدبية وتقنية، وشاركت في عشرات المؤتمرات الخاصة بالترجمة في العالم العربي، وثلاث مشاركات في فرنسا، وبما أن المداخلات



«تقاسيم ترجمية».. كتاب يغوص في عالم الترجمة!

يختصر جمال شديد تجربته ويقدم كل شيء يمكن أن يبحث عنه المترجم

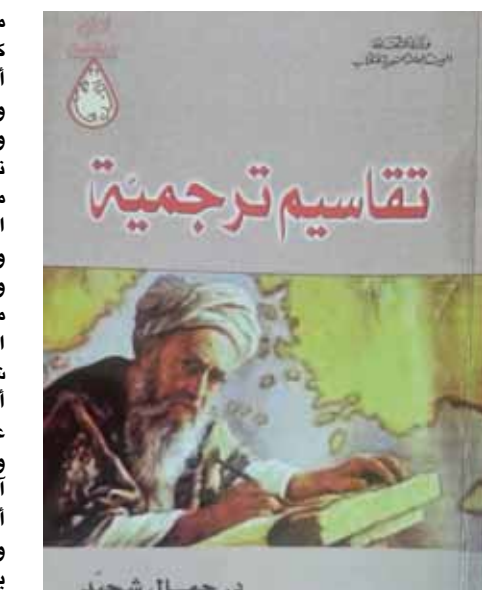
مترجماً لا أعرفه، وبالتالي لا أستطيع أن أحلل نفسيته كما يجب عندما يكتب على عملية الترجمة، سأكون أن العينة الحية، لأنني أعرفها أكثر من غيرها، واستطيع أن أتحدث عن الوسواس والتهوسات والترددات والانفعالات والأفراح التي تعتمل في عندما أترجم، ولكي تكون هذه العينة مفتحة لا بد لها أن تكون صادقة وتقول الحقيقة، كل الحقيقة..»

أخلاقية خاصة

وتحدث شديد في الفصل الرابع عن القوانين الناظمة لعملية الترجمة في العالم قائلًا: «رغم حفاظ الشر والتفقيه والتعمية، تبقى لكل مهنة أخلاقياتها، إن هزلت أو ماتت، فقل على الأرض السلام، إن مهن الطب والتعليم والقضاء والمحاماة.. تتمتع بأخلاقية خاصة بكل مهنة منها، وكذلك الترجمة، وتتمثل أخلاقياتها أولاً في الأمانة تجاه النص الأصلي المزمع ترجمته، أي اعتباره ملكاً مؤلفه لا يجوز التصرف على الإنترنت، ويعد ذلك أتوك على الرحمن وأياش، وخلفيتي ما قرأت في حياتي، وما فإتني أن أطلع عليه أصلاً ترميم هذه الفجوة سريعاً، قبل أن يأخذ الله أماتته، ولكن فترة التحضير هذه مليئة بالتهيب والقلق أمام مشروع سيقتضي مني شهرور عمل دوؤوب يصل أحياناً إلى عشر ساعات يومياً..»

صعوبات في طريقنا

وفي الفصل الثاني يكشف شديد عن الصعوبات التي يتعرض لها المترجم ومنها الصعوبات الاجتماعية والثقافية في ترجمة العلوم الإنسانية حيث قال: «يصدم مترجم الأدب أحياناً بعدد من الصعوبات الناشئة عن سمات اجتماعية وثقافية خاصة، فعلى الرغم من أن سكان الكوكب إخوة في البشرية، كما يطيب لبعض الطوباويين أن يقولوا، إلا أن اختلاف العادات، وطرق العيش والتفكير والتصرف، وتباين النضاءات الفكرية والأدبية والفنية، تجعل الممتني لهذا المجتمع لا يفهم مقصد الممتني إلى مجتمع آخر، وهناك خصوصية، وربما فريدة لها علاقة بالحياة المادية والفكرية والفنية والسياسية والأخلاقية والدينية، فالأطعمة والأشربة والملابس والأزياء



التي قدمتها في هذه المؤتمرات قد تفرقت وتناثرت وحسبت في أعمال هذه المؤتمرات، أراى علي بعض الأصدقاء أن أجمعها في كتاب قد يكون مفيداً لطلاب الترجمة والباحثين المعنيين بها.

التحليل النفسي للمترجم

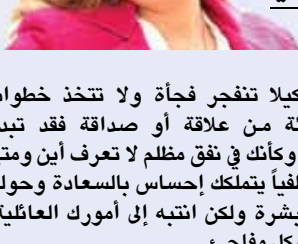
وفي الفصل الأول تناول شديد مواضيع في «ثقافة المترجم»، منها التحليل النفسي لشخصية المترجم، وعلاقة المترجم الأدبي والمؤلف، ومساهمة كبار (السفينة)، و(بريد بيروت)، ومعظم هذه الكتب المترجمة فكرية وفلسفية وأدبية وتقنية، وشاركت في عشرات المؤتمرات الخاصة بالترجمة في العالم العربي، وثلاث مشاركات في فرنسا، وبما أن المداخلات

بروفائيل

ويذكر أن جمال شديد ناقد ومترجم وأستاذ جامعي سوري حاصل على درجة الدكتوراة في الأدب المقارن من جامعة السوربون، باحث في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، له خمسة كتب في النقد الأدبي، آخرها الذكرة في الرواية العربية المعاصرة، وترجم من العربية إلى الفرنسية روايتين، ومن الفرنسية إلى العربية أكثر من ١٢ كتاباً بينها الجران الأخيران من سباعية بروس وتاريخ الجمال (من إصدارات المنظمة العربية للترجمة).

برجك اليوم 6/1

نجلاء قباني

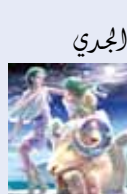


لا تراكم قلقك لكيلا تتفجر فجأة ولا تتخذ خطوات استحابية مفاجئة من علاقة أو صداقة فقد تبدو مستعجلاً عصبياً وكأنك في نطق مظلّم لا تعرف أين ومتى تخرج للنور، عاطفياً بتملك إحساس بالسعادة وحولك وعود مفرحة ومبشرة ولكن انتبه إلى أمور العاطبية، شجار قد يطرأ بشكل مفاجئ.



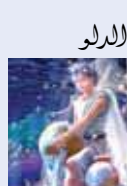
القوس

نتال اليوم مدحاً وتأييداً على إنجاز لم تتوقعه ما سيبب لك سعادة كبيرة فلا تعادى أو ترفض مساعدات الآخرين من حولك أو مساعدة من يجبك فالمحبة عطاء، فعاطفياً فتفتح أبوابك للتعارف واللقاءات وترتكز جهودك في الكلام عن مشاعرك لتوضيح أرايك لأنك تعيد بناء علاقاتك.



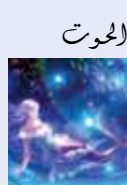
الجري

قد تضايقت الخيارات المفروضة فأنت تكره الضغط أو الإحساس بأن الآخرين يملون شروطهم أو أوامرهم عليك ولكن أحياناً تضطر إلى قبول بعض التنازلات اللطيفة لكي تبعد عنك الشغل. عاطفياً قد تلتقي على صوحة أحد الأصدقاء أو أحد الولدين فخصص وقتاً لمن حولك ولكن لا تحمل الأمور أكثر مما تحتمل.



الرلر

العمل كثير وضغط وأنت تقضي وقتك بين العمل والزيارات والعائلة والطوارئ وأنت لا تملك دقيقة من الوقت للراحة أو للهووء وكل ما يجب أن تفعله هو التنظيم. عاطفياً أنت شخص مرح ومحب للحياة تساعد من حولك وهو شهر للارتباط بامتياز وغالباً ليس عن حب بل عن عقل.



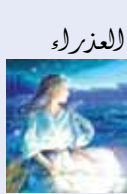
الررر

إذا كنت تبحث عن عمل أو تعلم جديد فابذل جهوداً إضافية لأنك اليوم مخطوط لتسوق مهارتك فأنت تحقق النجاح وترجم عقلت لتقوم محيطك إلى الأفضل واليوم للاجتماعات. عاطفياً كن أهدأ في قراراتك فالأمور العاطفية تتراقق مع العاطبية لتتمكح لشراً للأفراح.



الرأرر

اليوم قد يحمل بعض النزاعات فكن حريصاً كي لا تتأذى علاقاتك أو صداقاتك لذلك أتمنى ألا تدخل في تفاصيل صغيرة من قيل وقال بأمور صغيرة لأنك تستطيع تجاوزها.



الرررر

وعدود كثيرة ولقاءات مميزة وقد تتعرف على أصدقاء جدد في سفر أو في دعوات أو زيارات لأنك تستعيد مرحك وهذا يجعلك تنق بنفسك أو بمحيطك وبين حولك تستقبل ضيوفاً وتزور أماكن جديدة. عاطفياً الأمور العاطفية جيدة جداً بوجود الشمس في مكان جيد وانتقالها لبرج صديق ما يحمل لك السعادة ويحميك من أي مشكلة..



الررررر

لا تستعجل علاقات لا تعرف عنها شيئاً كن سرياً في أمور مع من لا تعرفهم جيداً وابتعد عن نقد الآخرين ليصبحوا منك واحترم قدرات من حولك ومعتقداتهم. وسياحية وفكرية وفنية كتابية لرحلة من المراحل التاريخية العربية، وما الإشارات التي أشار إليها ودراسة ما مائلها من كتب ورحلات، ووضعها في في استهلاله إلا مفاتيح لدراسة هذه الحكايات، بل دراسة ما مائلها من كتب ورحلات، ووضعها في إطارها الزمني والفكري، ومن دون أي حدف للتكبير، فالأرب ابن بيته، دراسته ودراسة طارحة كما هو تعطي فكرة مناسبة، وربما أوتحت بالعنبر من الحلول لقضايا شائكة، يحاول بعضهم أن يتكرها ويتكر لضيوف أو لأحد الأصدقاء الذي قد يحتاج مساعدتك فحول ضجة لكنها تحمل أوقاتاً ممتازة.



الرررررر

تملك فرصة فريدة لتحسن وضعك العملي والمالي ولتقوم بدور فعال في محيطك فارك الباب مفتوحاً على مصراعيه لتصالح قائمة ممن يجحك أو مساعدات أو لفرص قد تغير وضعك. عاطفياً اليوم لسفر أو وجودها ليسبع على عالم أو زمن أو فكر ما ليس فيه، مع ما في ذلك من ضرر كبير في الوصول إلى دقائق فكرية غاية في القيمة.